

احتلال بحر الغزال

٣

السد في بحر الجوز

من السواحل التي تمد بحر الغزال شهر كبير يعرف بحر الجوز كانت السفن تسيّر فيه صعداً في زمن الفيضان فتصل الى مكان في قلب البلاد يقال له «واو» كان في النية جعله قاعدة تلك البلاد . فركب الفنتنت فل باخرة وذهب لارتياحه فوجدته مقفلاً بالسد فعاد واخذ معه البواخر الاخرى وسرّية من الجنود لتفحصه . وقد كابد مالا يوصف من المشاق في فتح هذا النهر لانه كان مقفلاً على مسافة اميال كثيرة في عدة اماكن ولم يتم فتحه قبل مضي خمسة عشر شهراً فوصلت السفن الى واو في شهر يونيو سنة ١٩٠٢ وكنا قد وصلنا اليها في البر قبل ذلك بزمن بعيد

سرية اللادو

واخذ سباركس بك سرية من العساكر الذين كانوا في التوئج وسار بها جنوباً الى ان بلغ كرو وعاصمة اللادو وكانت تابعة لحكومة الكونغو فاحسن البلجيكيون وفادته واكرموه غاية الاكرام ثم غاد ومن معه بجزراً الى مكان على ساحل النيل يقال له شامبي وسار منه في البر الى التوئج فلحقها في اول ابريل . وحدث وهو غائب برجاله ان احد العساكر اقتطع عن رفاقه وجلس يستريح في مكان لا تراه فيه الساقة فلما نزل الجنود للقيام لم يجدوه بينهم فساد جماعة منهم يفتشون عنه فوجدوه مقتولاً طعناً بالحراب وقد اخذ التتلة ما عليه من ادوات النحاس كالازرار والابازيم وما اشبه وربما كان قتلهم اياه ظمناً فيها . فلما وصل سباركس بك الى التوئج ارسل البكاشي بلوى ليقص من القتلة لمجس البكاشي شيوخ تلك الناحية وطاليم بدم التتيل فجاؤوا بالتتلة وعرضوا عليه ائدية فرفضها وعقد مجلساً عرفياً جعل الشيوخ من اعضاءه فحكم المجلس على المتهمين بالقتل رمياً بالرصاص ولم يجر بهم لتنفيد الحكم وجد ان احدهم قد فر فنفذ الحكم في الاثنين الباقيين واظن الثالث لا يزال هارباً

وسار البكاشي ميس من التوئج الى واو ومنها الى الحصن الذي بناه مرشان على ثلاثة اميال منها وهو في احسن موقع هناك ثم بعد ايام احطت جنودنا وجعلت حوله زريبة من

الغشب والشوك واخذت في اقامة المنازل داخل الزبية واطلقنا على المكان اسم « واو » وهو
الآن عاصمة البلاد وعمر بالسكان

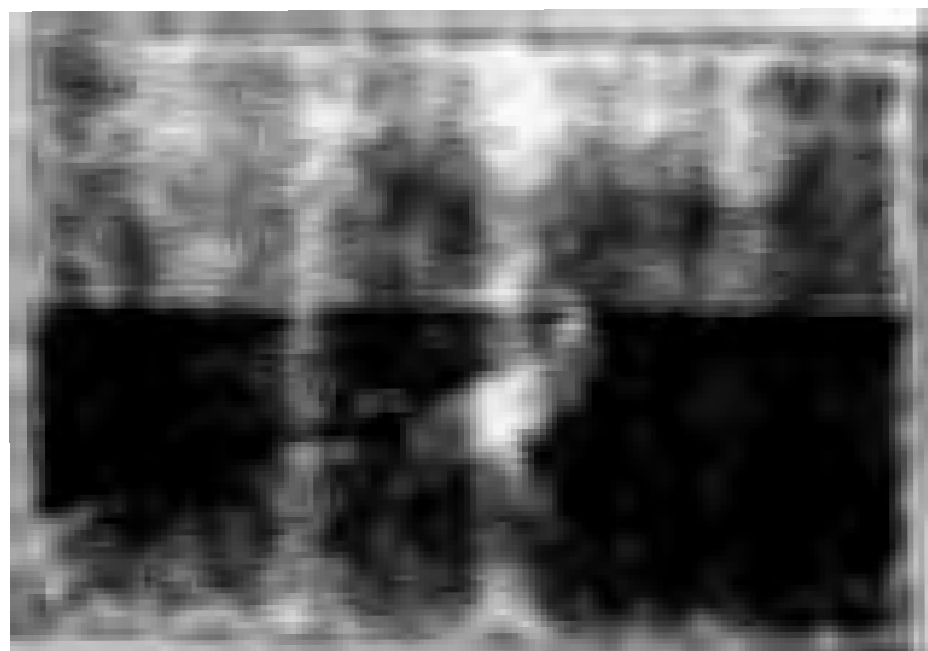
من مشرع الزريك الى التبرج

وكنت لا ازال في مشرع الزبك والبكاشي بطنوى واحد كامل افندي يسيران منه
الى التبرج ذهابة واياماً ومعهم الدواب لنقل المؤونة والذخيرة فقال لي البكاشي بطنوى مرة
لظك سمعت الاقامة هنا فساخذك معي هذه السفرة لتري البلاد ثم تعود سريه . فاتفقنا على
ذلك وبقينا في المشرع اياماً تنتظر وصول البريد وكان قد مضى اثنان وخمسون يوماً على
سفرنا من ام درمان لم نسمع فيها شيئاً عن العالم . ولما وصلت الباخرة التي تحمل البريد
اخذنا رسائلنا وملأنا جيوبنا بها وسرنا للاتحاق بالمساكر والدواب وكانوا قد سافروا قبلنا
بليلة فكنا نقرأ ونحن سائرون لا نبالي بالحفر التي تقع فيها او الاشجار التي نصطدم بها . وبعد
مسير عشرة اميال وصلنا الى قرية اللوة التي مر ذكرها فسالنا رجلاً رأيناه هناك ان يسير
امامنا يدلنا على الطريق فاسرع الى بيته ثم خرج وعليه ثياب امرأة وسار امامنا فقلنا له
كيف جئت بهذه الثياب قال هي هدية من الانفج يريدهم مرشان وجماعته ولعلمهم
اهدوها الى امرأته فانخصبها منها

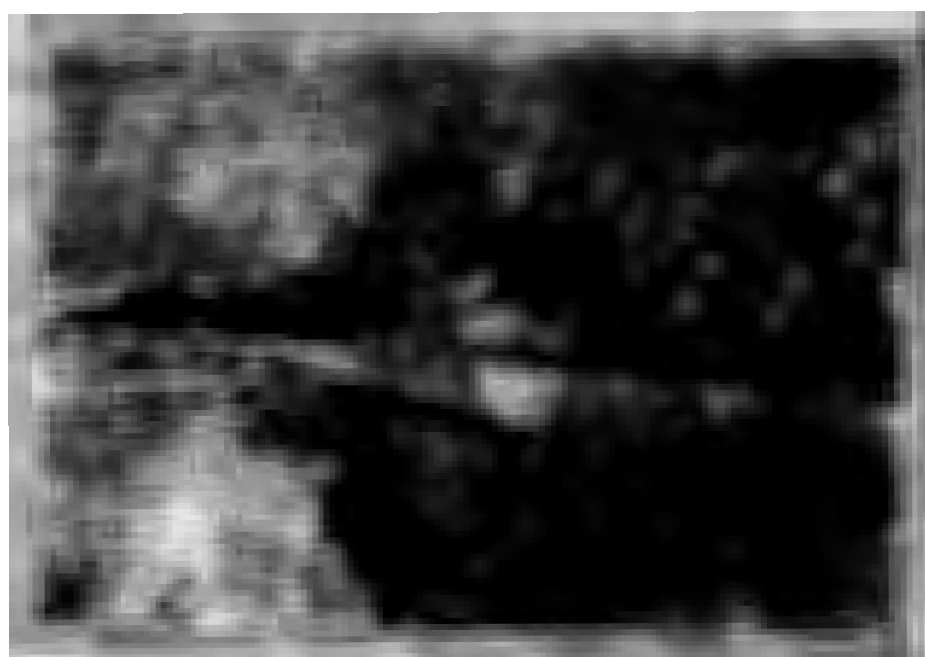
ولما كان الماء وصلنا الى ماء رأينا الجنود قد نزلت عليه لبيت فبقنا هناك ثم قنا قبل
ظلمع الفجر واخذنا في السير نحن والجنود والدواب الى ان كانت الساعة التاسعة . فقال لنا
الدليل ان على مسير ساعة امامنا بركة ماء يكتفها الشجر ويمس بنا المقليل عليها فقال لي
البكاشي ليسبقنا الجنود والدواب ومعهم الباشجوايش وتقف هنا قليلاً نأكل شيئاً ثم نلتحق
بهم فجلسنا في ظل شجرة وبقي معنا احد الجنود واسم عبد الرحمن فبعد ان اكلنا ودخن كل
مننا سيكارة سرنا للتحق بالمساكر فلم نكد نسير ساعة حتى رأينا غصناً اخضر ملقى على
الطريق امامنا فلم نقب الى انه اشارة معروفة في تلك البلاد يراد بها ان لا يجنازها السائر
وكان الدليل قد وضع الغصن ليخبرنا انهم مالوا عن الطريق الى بركة الماء التي هناك

ولما كنا نجول هذه العلامة اجترنا العنق وبقينا سائرين ونحن لا نرى اثرًا للمساكر
ولم ندر اننا تركناهم وراءنا . وبعد مسير نحو ساعتين عثرنا على احد م واسم محمد القفاص
وكان تائباً . فلما نكته كنت في اشد التعب وقد نفذ الماء منه وكان معي في راويتي بقية
من الماء فسقته قليلاً وقت له اياك ان تميل عن الطريق بل اجلس هنا فاما ان يمر بك
المساكر اذا كانوا وراءنا او نرس من يأتي بك متى احتدنا اليهم . وبقينا نجد في السير





بجر الفزال



محطة كرو في اللادو

حتى اشتد الحر وبلغ منا العطش مبلغاً عظيماً فظن شجرة على مقربة من الطريق وإذا
القفاص مقبل من بعيد يسير آونة ويجلس أخرى فلما وصل اليها انطرح في ظل شجرة وهو
في حالة يرثى لها من التعب والعطش وبعد ان اخذ نسيماً من الراحة قام ومشى فقلت له الى
اين قال «جائي» ثم اخذني وراء الشجر وانا لم يرجع فلت افتش عنه فاذا به قد اخرج
حربة بندقيته (المونكي) واخذ يحفر بها في الارض فقلت ماذا تعمل قال احفر لطلي اجد
ماء قلت لم لا ماء هنا . والمكان الذي حفر فيه جثت اليه بعد ايام وحفرت فيه بئراً عميقاً
٤٢ قدماً دون ان اصل الى الماء

واشدت بنا العطش كثيراً وكانت الشمس قد اوشكت ان تغيب فخذت الى جبل لبنان
وتأنت نفسي الى شربة ماء من نبع صين وهو يتدفق من تلك الحجارة البيضاء فاحذت
اصفاً للكباشي بطري وقلت جيداً شربة ماء منه اوعلى الاقل من السبلند بار في مصر
هذا اذا لم تقل رجاجة مثليجة من مياه روسياك قال كفى فقد زدتي عطشاً . ولم يتنه من كلامه
حتى رأينا الجنود مقبلين يتقدمهم حماري وعليه قربتان من الماء العكر الآسن فكذت ان
انسى صين وماءه البارد العذب . اما القفاص فشرب شربة لا اظنه يساها

الحراج في بحر النزال

ولا اسهل من ان يضل المسافر في تلك البلاد فكلمها سهول منبطة لا يرى فيها اكمة
ولا نكن في بعض الاماكن شيئاً من الهبوط والارتفاع فاذا نزل المطر اجتمع الماء في
الاماكن المنخفضة فصارت مستقعات كبيرة جداً . ولا معالم تميز المكان الواحد عن الآخر
فالاماكن كلها متشابهة والارض مغطاة بالعشب والحراج كبيرة جداً وهي ملتفة الاشجار
ضيقة المسالك يسير فيها المسافر اباناً بلا انتفاع . ويطول العشب في فصل المطر حتى يبلغ
اغصان الشجر فينتهي النيل الكبير وراه لا يرى على بضع خطوات منه . ومتى جاء فصل القيظ
وهو في تلك البلاد من شهر نوفمبر الى شهر مارس جف العشب واحرقه الناس او احترق
من نفسه باحشراك الاغصان اليابسة بعضها على بعض وامتدت النار مئات من الاميال
واحترق الخشيش كله ولم يبق غير الشجر . وقد كان سيرنا هذه المرة في فصل القيظ بعد
احتراق العشب وكان العشب الجديد قد ارتفع قليلاً فبلغ طولها في بعض الاماكن نحو الذراع
والشجر هناك ضروب والوان لا يعرف لاكثرها اسماء عربية لكن بعضها يثبت في بلاد
العرب والسودان العربي كالطلع والسم والحشاب وغيرها من انواع السنط وهي اشجار كبيرة
شائكة من الفصيلة الترنبة كان العرب يسمونها العفاه وهي كثيرة جداً في السودان ولا

يزال حرب السودان يعرفونها باسمائها العربية التي أكثر الشعراء من ذكرها. منها الطلح^(١) الذي قال فيه المرعي

وأبغضت فيك الخبز والخل يانع^(٢) وأعجبتني من حبك الطلح والصال

الصال ضرب من السدر أما الطلح فأعظم الغضاه المعروفة في بلاد العرب له شوك صخام طوال ونور أصفر طيب الريح. وفي السودان صنفان منه الأحمر والأبيض ومنها السدر^(٣) وفيه يقول امرؤ القيس

كأن في غداة البين حين تمهلوا لدى صمرات الحلي ناقف حنظل

ومنها الكرم^(٤) ويصنع منه أهالي السودان عصياً عقفاً كثيراً ما ترام يحملونها في مضر وبه سمي ذو سلم في الحجاز الذي قال فيه الشاعر

وهل أراك على وادي الأراك وهل يعود تليلنا يوماً بندي سلم

وفيه قال البوصيري في مطلع البردة

امن تذكر جيران بندي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلتي بدم

ومنها السبال^(٥) وبه سمي موضع بالحجاز. قال الأعشى يصف الخمر

بأكرتها الأعراب في سنة النور م فقيري خلال شوك السبال

ومنها القناد ويقال له الحناب في السودان ويعرف منه صنفان في بلاد العرب أحدهما

شجر كبير شائك والآخر قضبان بمنمعة كل قضيب منها ملآن ما بين أعلاه وأسفله شوكاً وفي المثل « من دون ذلك خرط القناد » . ومنه قول عمرو بن كلثوم في معلقته

وقد هرت كلاب الحلي منا وشذبتنا فتادة من بلينا

شذبتنا قظمتنا ومعناه أننا فرقتنا جمعهم واذهبتنا شوكتهم . ولا يخفى أن القناد أيضاً نبت

آخر يستخرج منه الصمغ المعروف بالكثيراء أو صمغ القناد (Tragacanthus) وهو

نبت صغير شائك كثير في جبال الشام حيث يعرف بالقناد والتشاب وأصاح العروس

(Astragalus) ولا اظن المثل ضرب فيه بل في الشجر المذكور آنفاً

ومنها السنت^(٦) وهو أشهرها في بلاد العرب وثمره القرظ يدبغ به لكثرة ما فيه من

المادة العنصية وبه سمي القارطان وهما رجلا من عنزة خرجا في طلب القرظ فلم يرجعا

فصرب بهما المثل فقالوا « لا تيك اويؤوب القارظ » ومنه قول بشر بن أبي حازم

لا يشتر وهو يحضر

A. Arabica (٥) A. spirócarpa (٤) A. Ehrenbergii (٣) A. tortilis (٢) Acacia seyal (١)

فرسي الخيزر وانتظري ابابي اذا ما القارظ العنزي آبا

ولا يزال اهالي السودان يدبغون بالقارظ ويخرجون لجمعهِ ويسمونه القارظ او القرض
ويستخرج الصمغ العربي المعروف بالاقايقا من هذه الاشجار كلها واجوده صمغ المشاب
ثم الطلح ثم السنط وقد كان اقدامه يستخرجونه من السنط فقط. وله في بلاد السودان تجارة
واسعة وهو من اهم صادرات البلاد والحكومة عناية كبيرة باشجاره وقد سنت نظاما لحمايتها.
وبعض هذه الاشجار تنبت في الشام لا سيما في غور اريحا وهي السيمال والسمر والطلح اما
التناد او المشاب فخاص باليمن والسودان المصري والسودان الفرنسي

ومن اشجار بحر الغزال الخمر او التمر المندي^(١) واهل السودان يتداولون به ويسمونه
البرديب وكثيرا ما تألفه القروود وتأكل ثمره وهو معروف في اليمن
ومنها اشجار المطاط اي اللتت وهي اربعة انواع في تلك البلاد احدها نوع^(٢) من
التين كبير جدا بين التين والجيز والتين المندي يرمل من اغصانه عروقا تنبت في الارض
كما تنبت عروق التين الهندي وله ثمر يوكل يشبه ثمر الجيز لكنه يخرج متفرقا بين الاوراق
كالتين لا عتائيد على الاغصان الكبيرة كالجيز. والانواع الاخرى من شجر المطاط لا اسماء
عربية لها وهي عصبات اي اشجار متسلقة تنمو على غيرها من الشجر ويستخرج المطاط منها بان
تجرح بفأس وبتنط ما ينزل منها من اللثي^(٣). ويكون لها ما عند نزوله ثم يجمد
ومنها شجرة تعرف عند عرب السودان باللولو^(٤) وهي من الاشجار التي يستخرج منها
النكوتايخا لها ثمر يوكل يشبه التفاح في طعمه لكنه ليس في حلاوته داخله نواة يعصر منها
زيت طيب الطعم كنا نفضله على كل الزيوت ما عدا زيت الزيتون. وربما كان اللولو شجر
الريكان الذي ذكره الدمشقي في وصف بلاد السودان فان وصفه له يشبه وصف هذا الشجر
ومنها المرخ^(٥) الذي قال فيه الاعشى

زنادك خير زناد الملو لك خالط فيهن مرخ عقارا

والمرخ والعقار نوعان من الشجر يقتدح بهما ولا يزال المرخ يعرف باسمه هذا في السودان
العربي وفي بلاد العرب وغور اريحا وقد رأيت السود يخرجون النار منه كما تفعل العرب
وظرفقتهم في ذلك لا تختلف عن طريقة هؤلاء قظ واحسن وصف لها رأيت في كتاب

(١) Tamarindus Indica (٢) Ficus platyphylla (٣) اللثي (Latex) ما يسيل من الشجر
كالصمغ فاذا جمد فهو سحور وربما كان الصمور اللتت او النكوتايخا (٤) Butyrospermum Parkii
Leptandra pyrotechnica (٥)

بلوغ الارب في احوال العرب للسيد محمود شكري الآلوسي من علماء بغداد لخصه عن كتاب النبات لابي حنيفة الدينوري قال « افضل ما اتخذت منه الزناد المرخ والغفار فتكون الانثى وهي الزنده السلى مرخاً ويكون الذكر وهو الزند الاعلى عنفاً ٠٠٠ وصفة الزنده عود مربع في طول الشبر او اكثر وفي عرض اصبع او اشف وفي صفحاتها فرسوخ وهي نقر الواحدة منها قرصة وتجمع فراضاً ايضاً. والزند الاعلى نحوها غير انه مستدير وطرفه ارق من سائرهِ . فاما وصف الاقتراح بها فان المقتدح اذا مراد ان يتدح بالزناد وضع الزنده ذات الفراض بالارض ووضع رجله على طرفها ثم وضع طرف الزند الاعلى في قرصة من فراض الزنده وقد تقدم نياً في القرصة عمري النار الى جهة الارض محز وقد حزه بالكين في جانب القرصة ثم نزل الزند بكفيه كما يقتل الخشب وقد التى في القرصة شيئاً من التراب يسيراً يتنى بذلك الخشنة ليكون الزند اعلم في الزنده وقد جعل الى جانب القرصة عند مقضى الحز رية (١) تأخذ فيها النار فاذا تلى الزند لم يلبث المدخان ان يظهر ثم يبعث النار فتجدر في الحز وتأخذ في الزية وتلك النار هي السقط ٠ انتهى

ومنها الاراك (٢) وهو شجر يثابك به ابي ثنيد من فروعهِ وعروقهِ هذه المساويك لتنظيف الاستان . قال الشاعر

تغير من نعمان عود اراكه هند ولكن من بلنهُ هنداً

اراد الشاعر بنعمان موضعاً قرب مكة كثير الاراك يقال له نعمان الاراك قيل انه من موافق عرفة وفيه يقول الآخر

اما والراقصات بذات عرق ومن حلى بنعمان الاراك

وقال ابن الفارض

ان جزيت نعمان الاراك فجع الى وادٍ هناك عهدته فيأحا

وفيهِ قالت امرأة من العرب

اذا حنت الشقراء حاجت لي الموى وذكرني اهل الاراك حينها

والاراك كثير جداً في السودان ومصر وبلاد العرب وغور ارجح وهو من مراعي

الابل والماشية قيل انه يجعل لبنها طيب ازانحة

ومنها السدر (٣) وثمره اللين وهو شبيه بالعناب وكنا نأكله وبطن بعض الباحثين انه

(١) ابرية ما توري واثار من عرقه او حطية Salvadora Persica (٢)

(٣) Zizyphus Spina-Christi & Z. lotus

التونس وبه سميت قبيلة في برقة زعم اليونان ان طعامها التبق فسعرها لوظرفاغوي اي آكلة التبق - وقد ذكر هوميروس في الاوديسية ان عونس لما وصل الى تلك البلاد واكل رجالة التبق نوا ببلادهم وابوا العودة اليها وقد كان اليونان والرومان يزعمون ان اكل التبق ينسي الانسان اهله ووطنه . ويقال ايضا ان اكلين الشوك اتدي وضع على رأس المسيح كان من الصدر لذلك يسميه الافرنج شوك المسيح . والصدر كثير في بلاد السودان كلها وفي مصر وبلاد العرب وغور الاردن الى بايأس شمالاً

ومنها التنبُّب^(١) وهو نوع من الكبب (القبار في الشام) له شوك وثمر مثل العنب يؤكل وهو احمر . والتنبب كثير في السودان والحجاز وغور اريحا في مكان يعرف بغور السيبان ويعرف في هذه الاماكن كلها باسمه هذا وتزعم العرب ان الحرابي - تالفة ومنه قول الشاعر
أنتي أنج لما حرباه تنبب لا يرسل الساق الأحمكاً ساقاً

ومنها الاهليلج^(٢) السوداني او المصلح بلغة اهل السودان وهو شجر كبير شائك من فصيلة الازادרכת له ثمر كالتنبب اخضر شديد المرارة فاذا نضج اصفر لونه وصار فيه شيء من الخلاوة فباكلة السود اذا غضم الجوع ويتداون به من الحمى وفيه بعض الخواص التي في الاهليلج الهندي المعروف عند الاطباء . ونبت الاهليلج السوداني في مصر وبلاد العرب وغور اريحا ويعرف في فلسطين بالزقوم ويستخرج منه اهالي اريحا دهنًا يقال له دهن الزقوم ندوى به وزعم بعضهم ان بني امية غرصوا الاهليلج الكابلي في فلسطين فتغير بطول الزمن وصار زقومًا . والحقيقة ان الزقوم اي الاهليلج السوداني خلاف الاهليلج المعروف عند الاطباء فهذا شرهندي يؤتى به من عدة انواع من الشجر تنبت في الهند وافغانستان منها الاهليلج الكابلي الذي يؤكل والاهليلج الاسود المعروف عند عامتنا بالهندي شعيري لكنه لشدة الشبه بين هذه الاثمار اطلق اهالي السودان اسم الاهليلج على الزقوم وزعم بعضهم ان الزقوم هو الاهليلج الكابلي

ومن اشجار بحر النزال شجرة يسميها عرب السودان ام الشطور^(٣) وهي من كبار الشجر يتدلى منها ثمر كبير جدًا يشبه الثوف لكنه ثقيل شديد الصلابة رتاج راس الانسان اذا سقط عليه . وفي حديقة الازبكية شجرة منه مجلوبة من تلك البلاد يراها الداخل من الباب الجنوبي مقابل الاويرا الخديوية

ومنها الابنوس السوداني وهو كثير هناك . وضرب من الماهوغني يسميه عرب

السودان الحُمُرَاية والمُدَلِيب وهو شبيه بالدموم . والعُشْر^(١) وهو نجم عريض الورق يحمل نفاذات كبيرة داخلها شيء كالحرير نقشى به الرسائد وهو كثير في السودان ومصر وبلاد العرب وشور اربحا . وحيث يكون الشر والمرخ والدموم والمُدِيب يكون الماء قريباً من سطح الارض . والعُشْر يقتدح به كالمرخ وهما من فصيلة واحدة . وهو مشهور عند العرب كانوا يستطرون به في زمن الجاهلية فاذا اجئس التيث ربطوا العُشْر وبتاً اخر اسمه الدَّع^(٢) بأذنان البقر وحدها من الجبال واشعلوا النار في السلع والعُشْر ومنه قول الشاعر

لا دَرَّ دَرَّ رجال خاب معهم يستطرون لدى الازمات بالمشَر
اجاعل انت يَقُوراً مَسَاعَةً ذريعة لك بين الله والمطر

وقول امية بن ابي الصلت

سلعُ ما ومثله عُشْرُ ما عائل ما وعالت اليقورا

ومنها نوع من القرييون^(٣) اي اللبانة وهو شبيه بالصبر ينبت صعداً في الهواء ويخرج منه لثي ابيض كاللبن اذا وضع على الجلد يحدث فيه التهاباً شديداً فيفرز السود سهامهم فيه فيسها بما يعلق عليها من لثاء لكن سمه موضعي ومتى جف على الصال خف فعله كثيراً . ومنها عود القنا وهو كثير جداً في بعض الاماكن والجوزان وهو نوع من الابنوس والزيتون وهو نوع من الساج اي خشب التلك وله عُشْر يوثكل وغير ذلك من الاشجار المختلفة والحراج تسعة جداً وهي في بعض الاماكن ادغال مشبكة الشجر يتعذر السير فيها . والطرق التي كنا نسير عليها ليست سوى مداخل ضيقة طرفتها اقدام السابلة بين العشب والشجر لا تكاد تروى على بعد خطوات قليلة فاذا جاء المطر نبت فيها العشب او حيا السيل اثارها وكان سيرنا هذه المرة سريعاً جداً فلم نعب من الصيد الا اربعة ثياتل . وبعد سير سبعة ايام قطعنا فيها مئة وعشرين ميلاً على اقدامنا وصلنا الى التويج قتلنا فيها ضيفاً على صديقي الدكتور نجيب شديد

الدكتور امين العلوف

(١) Calotropis procera (Asclepias gigantea) وانواع اخرى

(٢) ذكر فورسكال بعين من السلع في بلاد العرب سمى احداهما Salsanchos (Vitis) quadrangulus قال انه ينبت في وادي سردد وهو نوع من النكرمة يطبخ وصفه على السلع الذي وآة صاحب تاج العروس في اليمن وهو الآخر Senecio Hadriensis قال انه ينبت في جبال اليمن واسمه السلع الايض وبلغ البقر وهو من العسيلة المركبة ولهله السلع الذي كانوا يعتقدونه باذنان البقر

(٣) Euphorbia sandalifera (٤)